﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣﴾ [هود: 23]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكرَ اللّه تعالى أحوالَ أهل الجُحودِ والتّكذيبِ والنّكرانِ، البالغين الغايةَ في الخُسران؛ ذكرَ سُبحانه حالَ مَن بلَغوا أعلى درجاتِ الإيمانِ والتّسليمِ والإذعانِ، فَكوفِئوا بتحصيل الرّضا والخلودِ في الجِنان؛ حيث إنَّ معرفةَ الضّدِّ ممَّا تَشرئِبُّ إليه دائمًا نَفْسُ الإنسان[1].

يُـعْـلي الـعـليُّ سُبحانه قـدْرَ أهـلِ الإيـمـان كما يضعُ قـدْرَ أهـلِ الـجُحودِ والنّكران

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ﴾: الخَبْتُ: الأرضُ المُطمئنَّةُ المُتَّسعةُ[2]. ومعناه المحوريُّ: انخفاضٌ مع اتِّساعٍ واستقرارٍ[3]. والإخباتُ: الخشوعُ، والمُخبِتُ: الخاشعُ المتضرِّعُ إلى اللّه. يقال: خَبَت يَخْبِتُ، وأخْبَتَ يُخْبِتُ إخباتًا إلى اللّه، وكذلك: خبتَ قلبُه للّه، أي: خشعَ وتضرَّعَ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنَّ الَّذين صدَقوا واعترَفوا للّه ورسوله بخالص إيمانِهم؛ فآمنت قلوبُهم وعملت جوارحُهم الأعمالَ الصَّالحةَ قولًا وفعلًا منَ الإتيان بالطَّاعاتِ وتركِ المُنكرات، وأنابوا لربِّهم بمحبَّتِه وخوفِه ورجائِه، وخضَعوا له واسْتكانوا وذَلّوا لعظمتِه وسُلطانِه، أولئك المَوْصوفون

المُـؤمـنـون الـصّـادِقـون بـصَـلاحِـهـم سابِـقـون، وفي جـنّـةِ ربِّـهـم خالِدون

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/335، والخازن، لباب التأويل: 2/480، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/138، وابن عادل، اللّباب: 10/462، والبقاعي، نظم الدّرر: 9/263، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/39.

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (خبت).

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خبت).

(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (خبت).

بتلك الصِّفاتِ الجميلةِ هم سكَّانُ الجنَّةِ الَّذين لا يَخرجون منها ولا يموتون، بل هم فيها لابثون إلى غيرِ نهايةٍ دائمون[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ الاستئنافِ في ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

ذِكْرُ حالِ الأشقياءِ يَستدْعي وصْفَ حالِ السُّعداءِ

لَمَّا توعَّدَ الكافرين وأخبرَ عن مآلِهم، كان موضعَ أن يُسألَ عن حالِ المؤمنين؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[2]؛ فالجملةُ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّ النّفوسَ تشرئبُّ عند سماعِ حُكمِ الشّيءِ إلى معرفة حُكمِ ضدِّه[3]؛ فلمَّا ذكرَ تعالى حالَ الأشقياءِ ثنَّى بذكْرِ السُّعداء، وهمُ الذين آمنوا وعملوا الصّالحاتِ[4].

دَلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿إِنَّ﴾:

تأكيدُ إثابةِ المؤمنين إغراءً لهم على الاستمرارِ في العملِ الصّالحِ

التَّعبيرُ بـ (إنَّ) يدلُّ على توكيد معنى الآيةِ، وهو أنَّ الذين جمَعوا تلك الصّفاتِ الجليلةِ (الإيمانَ، والعملَ الصّالحَ، والإخباتَ إلى اللّه)؛ هم أصحابُ الجنَّة المُخلَّدون فيها[5].

سِرُّ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

الإيمانُ والعملُ الصّالحُ والإخباتُ لله أسبابٌ للفلاحِ والفوزِ بالجنّاتِ

عدلَ عنِ التّعبيرِ بـ (المؤمنين) إلى التَّعبيرِ بالاسْمِ الموصولِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ﴾؛ للدّلالةِ على أنَّ سببَ الجزاءِ الذي يُعْطيهم ربُّهم، والثّناءِ الذي أضفاه عليهم[6]؛ اتِّصافُهم بتلك الصّفاتِ الصّالحةِ.

دَلالةُ عطْفِ العملِ الصّالحِ على الإيمانِ:

العملُ الصّالحُ منَ الإيمانِ

عطفَ العملَ الصّالحَ على الإيمانِ للدّلالةِ على بيانِ أهمّيةِ العملِ؛ فالعملُ الصّالحُ من كمالِ الإيمانِ.

(1) البغوي، معالم التنزيل: 4/170، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/273.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/263.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/39.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/273.
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 380.
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3695.

سِرُّ ترتيبِ الإيمانِ والعملِ والإخباتِ:

ذكرَ اللّه للمؤمنين أعمالًا ثلاثةً:

العملُ الصّالحُ ثمرةُ الإيمانِ، والإخباتُ لله نتيجةُ دَوامِهما

أوّلُها: الإيمانُ الذي يقذفُه اللّه في قلب المؤمنِ؛ فيخضعُ للحقِّ، ويُذعنُ له. وإنَّ القلبَ إذا أشرقَ بالإيمان واسْتضاءَ به كانتِ الحكمةُ والاستقامةُ في القولِ والعملِ، فلا يكونُ منه إلا الخيرُ والإذعانُ للحقِّ.

وثانيها: العملُ الصّالحُ وهو ثمرةُ الإيمان. وإنَّ الايمانَ إنْ لم يُصاحبْه العملُ كان ذلك نقصًا في الإذعان، فإنَّ الإخلاصَ يتولَّدُ عنه الحكمةُ التي يتولَّد عنها القولُ الطيّبُ والعملُ الطيّبُ.

وثالثُها: هو الإخباتُ إلى اللّه، والإخباتُ هو الاطمِئْنانُ. والاطمِئنانُ يتضمَّنُ تصديقَ ما وعدَ اللّه به، والخضوعَ لما أمرَ ونهى[1]. فهذا التّرتيبُ الحكيمُ جاء على وَفْقِ العلاقاتِ بين هذه المعاني؛ فالإيمان يكونُ قَبْلًا، وثمرتُه العملُ الصّالحُ.

الغرَضُ منَ الاستعارةِ في قوله: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ﴾:

المؤمنون لربِّهم خاشِعون

أصلُ اللّفظ منَ (الخبت)، وهو البراحُ القَفْرُ المُستوي أوِ المُنخفضُ منَ الأرض؛ فكأنَّ المُخبِتَ في القَفْرِ قدِ انكشف واستسلمَ وبقي دون مَنعةٍ[2]، فأُطلقَ الإخباتُ الذي هو نزولُ الخبتِ على اطمئنان النّفسِ والخشوعِ تشبيهًا للمعقول بالمحسوس[3]، وهذه الاستعارةُ المكنيَّةُ بيَّنتْ شدَّةَ خضوعِ النّفوس المؤمنةِ لربّها ﷻ واطمئنانِها إليه وخشوعِها له.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ ودلالتُه في ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾:

خشوعُ المؤمنين وإخلاصُهم مُوجَّهٌ إلى الله ﷻ

معنى الحرفِ (إلى) في قوله: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ أي: لربِّهم[4]، ولمَّا كان المؤمنون يَعمدون بإخباتِهم إلى اللّه[5]؛ أُوثرتْ ﴿إِلَىٰ﴾ على

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3695.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/161.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 6/234.
(4) البغوي، معالم التنزيل: 4/170.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 15/291.

اللّام، رغمَ أنَّ العادةَ جاريةٌ بأنْ يُقال: أخبَتُوا لربِّهم؛ فالمعنى: وجَّهوا خوفَهم وخشوعَهم وإخلاصَهم إلى ربِّهم، واطْمأنّوا إلى ربّهم؛ فقد يجوزُ في العربيّةِ: فلانٌ يُخبتُ إلى اللّه، يريدُ: يفعلُ ذلك مُوجِّهَه إلى اللّه[1].

علَّةُ التَّعبيرِ بالرُّبوبيّةِ ﴿رَبِّهِمْ﴾:

ربُّ العبادِ لَطيفٌ بالمؤمنين به المُخبِتين إليه

أُوثرَ التَّعبيرُ بالرُّبوبيَّةِ دونَ الألوهيَّةِ في قوله تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾؛ لأنَّ المقامَ مقامُ رعايةٍ لعباد اللّه المؤمنين، فلفظُ (الرَّبِّ) مُشتملٌ على المعيَّةِ والرِّعايةِ والرَّحمةِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ من مُقتضياتِ الرُّبوبيَّةِ بثَّ الطّمأنينةِ في نفوس عبادِه المؤمنين العاملين بأوامرِه رحمةً منَ الرَّحمن لهم ولُطفًا منَ اللّطيفِ بهم، فقال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لِما يفيدُه معنى الرّبوبيّةِ والخلْقِ والقيامِ على حفظِهم وتربيَتِهم وما يترتّبُ على ذلك منَ الاطْمئنان والخضوعِ وعدمِ التّمرّد عليه سُبحانه والخروجِ عن طاعتِه[2].

سِرُّ الإضافةِ ﴿رَبِّهِمْ﴾:

الإضافةُ إلى الرّبِّ طُمأنينةٌ للمؤمنِ ووعيدٌ للكافرِ

أُضيف لفظُ (الرَّبِّ) إلى الضَّميرِ العائدِ على المؤمنين لتشريفِهم مع تطْمينِهم، فلمّا كان السِّياقُ سياقَ وصْفٍ للمؤمنين بصفاتٍ جليلةٍ (الإيمانِ، والعملِ الصّالحِ، والإخباتِ) كانت هذه الإضافةُ - وهي إضافتُ كلمة "الرَّبِّ" إليهم - بليغةً مُؤدِّيةً لهذا المعنى، مُفيدةً أعلى درجاتِ الإجلالِ والتَّشريفِ مع تمامِ الطّمْأنةِ لنفوسِ هؤلاء المؤمنين، لِما تحملُه لفظةُ (ربّ) من معانٍ.

دَلالةُ اسْمِ الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

المُؤمنون العامِلون المُخبِتون هم أصحابُ الجنّةِ الخالِدون

التَّعبيرُ باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذي يُفيدُ جمْعَ العقلاء مُذكّرًا أو مؤنّثًا؛ يدلُّ على زيادةِ تمييزِ المؤمنين والمؤمنات، وتخْصيصِهم

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/367.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3695.

بتلك الصّفاتِ الصّالحةِ؛ للتّنبيهِ على أنّهم حريُّون بما سيردُ بعد اسمِ الإشارة منَ الخبرِ، بسببِ ما قبْلَ اسمِ الإشارةِ منَ الوصْفِ[1]؛ والإشارةُ إلى صفاتِهم من إيمانٍ وعملٍ صالحٍ وإخباتٍ إلى ربّهم إيضاحُ أنَّها سببُ ذلك الجزاءِ العظيمِ[2]، فالمؤمنون العاملون المُخبتون حريُّون بالجزاء الحسنِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: إنَّ أولئك الموصوفين بتلك الصّفاتِ الجليلةِ ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3].

المُؤمنون العامِلون المُخبِتون هم أهلُ الجنة ومُلّاكُها

سِرُّ التّعبيرِ بلفظِ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾:

المعنى المحوريُّ للصُّحبة: لُزوقُ الشّيءِ بكثافةٍ أو قوّةٍ على ظاهر أصْلِه؛ أي: مُلازمتُه إيّاه. فالأصلُ في (الصّحبة) المُلازمةُ، وعبِّرَ بـ (أصحاب) في هذا التّركيبِ ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ الذي صار مُلازِمًا لهم كأنَّه كنايةٌ عنهم؛ لأنَّ المُؤمنين سيَصيرون ملازِمين للجنّة؛ فهم أهْلوها ومُلّاكُها الذين يعيشون فيها[4]، ولمّا كان معنى المُلازمةِ لا يُؤدَّى بلفظةِ (الأهل) أوِ (المُلّاك) - لأنّه ليس كلُّ (أهل) مُلازِمين مكانَهم، وليس كلُّ (مالكٍ) مكانٍ مُقيمًا فيه - ناسبَ في هذا المقامِ التّعبيرُ بـ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ التي تحملُ بين حروفِها معنى المُلازَمةِ.

الذين آمنوا وعملوا الصّالحاتِ وأخْبَتوا لله خالِدون في الجنّةِ

دَلالةُ الضّميرِ ﴿هُمۡ﴾:

عُبِّر بالضّميرِ ﴿هُمۡ﴾ في قوله: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ للتّنويع بين اسمِ الإشارةِ والضّميرِ ولإفادةِ التّوكيدِ، فلم يقل: (وأولئك خالدون فيها) وإنّما عُبِّر بالضّمير ﴿هُمۡ﴾؛ والمعنى: المُؤمنون العاملون المُخبِتون خالدون في الجنّة، وليس المرادُ حصْرَ الخلود فيهم؛ لأنَّ العُصاةَ منَ المؤمنين يَدخلون الجنّةَ عند أهل الحقّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/32.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3695.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 2/558.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صحب).

ويَخلُدون فيها. ولعلَّ من يدَّعي ذلك يريدُ بنفْيِ الخلودِ عنِ العصاة نقْصَه من أوّلِه[1].

فلمَّا أكَّدَ اللهُ ﷻ جزاءَ المُؤمنين العامِلين المُخبتين بأنّهم ملازمون للجنّة، وأنّهم أصحابُها الذين لهمُ اختصاصٌ يُشبهُ ملكَ المالكِ لِما يَملكُ؛ أكَّد قولَه أيضًا بضميرِ الموصولِ ﴿هُمْ﴾؛ فقال: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

موقعُ جُملةِ ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ودَلالتُه:

المُؤمنون العامِلون المُخبتون همُ الخالِدون في الجنّةِ

جملةُ ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ خبرٌ ثانٍ لـ﴿إِنَّ﴾[3]، وقد جاءت في موضع البيانِ لجملةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ﴾؛ لأنَّ الخلودَ في المكان هو أحقُّ الأحوالِ بإطلاقِ وصْفِ الصّاحبِ على الحالِّ بذلك المكانِ؛ إذ إنَّ الأمكنةَ لا تُقصدُ إلَّا لأجل الحُلولِ فيها؛ فتكونُ الجملةُ مستأنَفةً لبيانِ ما قبْلَها، فمنزلتُها منزلةُ عطْفِ البيانِ[4].

بَلاغةُ التَّعبيرِ بالجُملةِ الاسميّةِ:

المُؤمنون في الجنّةِ خالِدون

عُبِّر بالجُملة الاسميَّةِ ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الدَّالّةِ على الثُّبوت، أي: ثبوتِ المعنى وتحقُّقِه؛ لأنّ المَنعوتين بتلك النُّعوتِ الجليلةِ الشّأنِ (الإيمان، العمل، الإخبات) هم في الآخرة أصحابُ الجنّةِ، خالِدون فيها، دائِمون أبدًا[5].

نُكتةُ تقديم ﴿فِيهَا﴾ على الخبرِ:

في الجنّةِ لا في غيرِها يَحيا المؤمنون خالِدين

التّقديمُ في الجُملةِ للاهتمامِ بالمُتقدّم، فقُدِّم شبْهُ الجملة ﴿فِيهَا﴾ في قولِه: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ للاهتمام بمكان المؤمنين في الآخرةِ وتخصيصِهم بالجنّةِ؛ أيْ: أنَّ المؤمنين في الجنّةِ خاصَّةً لا في غيرِها[6].

---

(1) الآلوسي، روح المعاني: 6/234.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3695.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/334.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/40.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 6/234.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 9/263.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإخباتُ والخشوعُ:

الإخبات اطْمئنانٌ وخشوعٌ

الخشوعُ: يدورُ معناه المِحوريُّ حول هبوطِ ما شأنُه الارتفاعُ والغلظُ لتسيُّب أثنائِه. قال الله ﷻ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا﴾ [الحشر: 21]؛ أي: هابطًا ومتسيِّبًا[1]، وخشع يخشعُ خُشوعًا: رمى ببصره نحو الأرض وغضَّه وخفضَ صوتَه. واختشع، إذا طأطأ صدرَه وتواضعَ[2].

والمعنى المِحوريُّ للخبتِ هو الانخفاضُ باتساعٍ واستقرارٍ، ومنه (أَخْبَتَ الرّجلُ) أي: اطْمأنّ وتواضعَ وخَشَع؛ كمَن نزَلَ الخبْتَ[3].

ولمَّا كانت نفوسُ المؤمنين مُطمئنّةً خاشعةً لربّها ﷻ مُطلقَ الاطمئنانِ والخُشوع؛ عبَّر عن خضوعِها واطْمئنانِها واستقرارِها على الإيمان بمحسوسٍ[4] يدلُّ تمامَ الدّلالةِ على هذا المعنى وهو الإخباتُ، أي: نزولُ الخبتِ (المنخفض المُستوي منَ الأرض) فناسب ذلك لفظُ الإخبات دونَ الخشوعِ؛ لأنّه يحملُ معنى الاطْمئنانِ والخشوعِ.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خشع).
(2) الأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (خشع).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خبت).
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/234.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»